لاسيما الاطفال الصغار بعد ولادتهم يزعمون انّ هذه البواكير تستجلب بركات الآلهة على اصحابها

تلك كانت اعمال الدين الباطل التي لم تزل ساندة معزّزةً وغمًا عن اقوال الانبياء وغيرة اولياء الله في العهد القديم حتى ظهر ابن الله وضاءت انوار النصرانيّة في العالم فاقشعت هذه الظلمات المدلهمّة وخذلت عبادة الاصنام واخربت هياكل الشرك على يد ملوكها المعظمين كقسطنطين وثاودوسيوس (ستأتي البقيّة)

الحرب ومؤتمر السلم

للشاب الاديب عبد الله افندي رزق الله تلميذ احد مأموري مديّة ولاية بيروت الجليلة

يُحسم النزاع بين الدول إمّا صلحًا وإمّا حربًا سواء كان دافعهُ المغرم او جازهُ المغنم. فان تعجز الاقلام عن فصل الخلاف يقطعهُ الصارم البتّار. وان تصمّ الآذان قصدًا عن استماع الحقيقة يخرقها طنين بوق القتال وقرقعة السلاح

والحرب ليست بجديدة في العالم. فهي منذ خلق البشر ضاربةٌ اطنابها بين ظهرانيهم كما يشهد لنا بذلك تاريخ الاعصر الخالية. قد اورت زنادها في كلّ اين وآن واسعرت نيرانها مطامعُ الانسان الكثيرة وامياله المتباينة واحقادهُ المكنونة

١

الحرب في زماننا ثلاثة انواع: اوّلها الحرب العاديّة المعروفة والحظُّ فيها لمن اكثر العَدد والعُدد. وأتقن فنون الحرب وآدابها. ونظّم الجنود ودرّبها. وأحسن اسلحتها وادواتها. واذّخر ارزاقها ولوازمها

لكنّ هذه الحرب زادت مع ترقي المدنيّة هولًا وفتكًا فقلّت شباة المتحاربين وقلّت اظفارهم

تقاتل الاوّلون بالاسلحة البسيطة وتنافح احفادهم بالابيض والاسمر. واماّ معاصرونا فاشهروا الاسلحة الجهنّميّة. واطلقوا القنابل الناريّة فلم يُبقوا ولم يذروا. سمعنا صليل اسلحة الصين واليابان. ودهشنا من دويّ مدافع الاميركان والانسان. على انّ حربًا عبوسًا بين الفرنسيس والانكليز مثلًا تكون والعياذ بالله آيةً من آيات الساعة يشيب

(١) وردتنا هذه المقالة منذ شهرين فتأخّر نشرها لكثرة المواد

لهولها الولدان. انّما للاقدمين غرابة في اشهار الحرب وفظاعة في معاملة الاسرى والجرحى ومظالم عديدة في الناس. والتواريخ ملأى بهذه الغرائب والكبائر. ينكث الجار عهد جاره بلا سببٍ او لعلّةٍ صبيانيّة فيزحف عليه بجحفله وحفله ويضرم بلاده نارًا ويدوّخها ظلمًا وعدوانًا ويوقع بالاهالي الخالدين الى الراحة ويسبي النساء والاطفال ويدمّر ويقتل وينهب ويسلب كما تفعل في يومنا قبائل اواسط افريقية وسكان البلاد المتوحّشة

نعم انّ الدول الحاليّة وثّابة على الفُرص تتطلّع لغفلةٍ من العدوّ تختلسها ولمرورةٍ تحترسها حتى اذا ما وجدت لشفرتها محزًا اثارت عليه نقع الفتن واصابته نارًا حامية تفتّ في عضده وتطأطئ من إشرافه. لكنها وضعت للحروب اصولًا ونظامات تقتضي على المتحاربين والمتحايدين باتّباعها في اشهار الحرب واجرائها. ونظّمت جنودها البرّيّة. ومنعت التعدّيات الفرديّة. وحصرت المقاتلات في ساحات الحرب بين العساكر المدرّبة. وحافظت على الحقوق والاملاك الشخصيّة. وعاملت الأسرى والاهالي بالحُسنى الى غير ذلك من الآثار الانسانيّة

ولمّا كان الجمهور ميّالًا الى العدالة محجمًا عن التعدّي اجمع السياسيّون على مراعاة ميل العامّة في الحلّ والعقد. فتراهم قبل حسر لثام البغضاء ومكاشفة العدوّ بالحرب يعلنون على رؤوس الملإ شواهد حقوقهم المغصوبة ويفرشون في صدور الناس ادلّتهم المحقّة تحريضًا لرعاياهم على الجهاد في سبيل الحقّ واستجلابًا لمحبّة سائر الامم وطلبًا لتفّق يأخذ بناصرهم ويُقيل عثرتهم. فتجري حينئذٍ المخابرات السياسيّة والمعاملات الرسميّة. وتتواصل الرسائل والكتب بين الخصمين وسائر الحكومات الى ان يصرّح الحقّ عن محضه فيرعوي المتخاصمان ويقلعا عن المشاحنة والجدال. او ينجلي الامر عن امتشاق الحسام ونشوب القتال. على انّ هذه المماطلة كثيرًا ما اخمدت ضرام الشحناء واخمدت سعير النضال

غير انّ المحاوبات البحريّة بقيت على دهشتها الاوليّة حتى سنة ١٨٥٦. فما كانت تقع حرب بين دولتين الّا وتشترك الافراد بهذه الحرب. فيسلّحون السفائن التجاريّة والمراكب الشراعيّة. ويشنّون الغارة البحريّة على السواحل وسفن العدوّ. فيسدّون طرق التجارة ويوقعون بكلّ ما تصل اليه ايديهم من مراكب الخصم ورجاله واموالهم. وعليه قرّر مؤتمر باريس المنعقد في السنة المذكورة وجوب تنظيم العساكر البحريّة وحصر

المحاربة بينها كما تجري بين الجيوش البرّيّة ومنعت غارات هؤلاء القرصان والغت اصولهم الشنعاء . ومن التصادفات الغريبة ان الولايات المتحدة وحكومة اسبانية لم توقعا على هذه المقررات الدوليّة في ذلك الوقت . فلمّا انتشبت الحرب أخيرًا بينهما هدّد بعض رجال الاسبان الولايات المتحدة بتجهيز القرصان وتخريب التجارة الامريكيّة . فاوجس العالم التجاري خيفةً من وقوع هذا الامر الذي يوهن التجارة ويوقف سيرها . غير ان تهديدات الاسبان بقيت والحمد لله فوق منابر الخطباء وفي صفحات الجرائد عملًا بمقرّرات مؤتمر باريس العموميّة وان لم توقع عليها . لا كما ظنّ البعض من انّ اسبانية اسقطت حقّها عن رضىً وطيبة خاطر

ولم يكتفِ المتأخرون بمنع القرصان وتحديدُ المحاربات البحريّة بل صرفوا عنايتهم الى تخفيف ويلات الحرب وتضميد جراحها

أليس ناشدتك الله من غريب الامور اصطدام جيشين يجهل كلٌّ منهما الآخر وسببَ القتال والخصام بينهما ؟ انّ لله في خلقه آيات

وقائل هي الحقوق القوميّة المقدّسة يُبذل في سبيلها النفس والنفيس فلا عجب اذا استلّت الاقوامُ صوارمَ العزم واعملوها في رقاب الغاصبين . نعم ولكنّ المقصد الاصلي من الحرب هو اضرار الدولة المحاربة لا الافراد . فاذا اعتزل الجنديُّ ساحة الحرب لجرحٍ اصابهُ فكلُّ الصيد في جوف الفرا . فلا حاجة اذن الى تشديد الوطأة عليهِ وتعذيبهِ وقتلهِ كما كان يفعل الاقدمون . وبناء على ذلك عقدت الدول الحاليّة منذ نيف و ٣٣ سنة مؤتمرًا في مدينة جنيفة اسفر عن تشكيل جمعيات الصليب الاحمر والهلال الاحمر لاعانة الجرحى ومداواتهم واخراجهم عن دائرة الحرب وقضى بان تكون هذه الجمعيّات الخيريّة بأمنٍ من كلّ تعرّض وهجوم . فلا يُطلق رصاص على المحالّ الخافقة فوقها علامتا الصليب الاحمر والهلال الاحمر . ولا يُشهر سلاح على من زيّن صدرهُ باحدى هاتين الاشارتين . كما لا يجوز قتل منيّن من الراهبات او الكهنة الذين يضحّون نفوسهم في سبيل الجرحى في ساحة القتال

فما يُطير البرق نبأ حربٍ الّا وترى اعضاء هذه الجمعيّات وعددًا وافرًا من الكهنة والراهبات يتقاطرون الى ساحة القتال من كل جانب ويعالجون جرحى المحاربين بهمّةٍ لا توصف وغيرةٍ لا تُقدَّر كما شاهدنا ذلك في الحربين العثمانيّة اليونانيّة والاميركيّة الاسبانيّة

وفي ١٦ تشرين الثاني سنة ١٨٦٨ أصدر مؤتمر بطرسبرج الدولي قراراً منع فيه استعمال الاسلحة القتّالة الكثيرة الانفجار. فحبّذا السعي ونعم القرار

وقد جاء في احدى الجرائد العلميّة ان « الاستاذ فون اسرخ اشار ان يتعلّم الجنود كلهم كيفيّة الاعتناء بالجرحى وان يُبطل استعمال الرصاص الذي ينفجر فيكثر الجراح ويزيد الآلام وان يُمنع استعمال المدافع الكثيرة الطلقات في الحروب تخفيفاً لويلاتها ». اما مجلّة المديكال ريكرد الطبيّة الاميركيّة فقد ارتأت رأياً غريباً اذ قالت: « ان الحروب لا تُبطل بالرحمة بل بالخوف فاذا اردت إبطالها فابطل كلّ الجمعيّات التي تساعد الجرحى واكثر من استنباط آلات الهلاك فانّ الناس اذا رأوا الشرّ تفاقم خافوهُ وابعدوا عنهُ من تلقاء انفسهم »

لا شكّ ان محرّر جريدة المديكال المذكورة اكثرَ من مطالعة اخبار الحروب القديمة. فاعجبتهُ حالها المدهشة. فاراد ان يرجع القهقرى الى العصور السالفة ولا عجب فانّهُ اميركيّ تنبعث من دماغه اغرب التصوّرات واشذّها. كفانا الله شرّ امثاله في مؤتمر السلم

على انّ أدهش الحروب هي بلا ريب الحروب الاهليّة. فما قامت في محلّ الّا وجرت الدماء فيه جريَ السيل في الليل. لا يُرقع لأصحابها رَهيٌ ولا يؤسى لهم كلم. سل التاريخ يخبرك عن البلاد التي خوى نجمُها وانهار جرفُها من جرّاء هذه المطامع الدمويّة والذبائح البشريّة. ولا غرابة فان المتقاتلين عالمون بقوّات بعضهم. دارسون مواقع بلادهم. يعرفون من اين تؤكل الكتف

٢

ثانيها حالة اوربّة الحاضرة وهي الصلح المسلّح الذي بلغ حدّ الافراط فأثقل على كاهل الدول حتى كاد ينيخ ببعضها الى الحضيض. ومن يدقّق النظر في ميزانيّات الدول يهلع قلبهُ وينخب لبُّهُ من توفّر نفقاتها الفادحة ووبال عُقباها. ويظهر من الاحصاآت الرسميّة ان جملة الجنود الموجودين تحت الاسلحة في العالم كلهِ يبلغ زمن الصلح ٤,٦٠٠,٠٠٠ نفر وعدد الخيول العسكريّة على وجهِ المكونة نحو ٧٠٠,٠٠٠ وان مبلغ النفقات اللازمة لمعاش هذه القوّات كلها يفوق ٢٥ مليارًا في السنة ! ! وليتأمّل القارئ مقدار النفقات زمن الحرب

بيد انَّ الحكومات لم تقف عند هذا الحدّ. فقامت تتسابق في ميادين التسليحات على مطمَّمة المطامع التي لا حدَّ لها. تدبّ كلّ منهـا للاخرى الضَّراء. وتمشي لها الختر حتى اذا ما بدت مقاتلها انقضَّت عليها انقضاض الجوارح وأنشبت فيها مخالبها. وعليه فما تأتي دولة اقلّ اصلاح في جيشها الَّا وقامت الاخرى باكثر منهـا. وما اخترع احدٌ آلةً مخرّبة الَّا واوجد آخر اشدّ منها

وكانَّ الدول استصغرت نفقات الجيوش البرّيّة فوفّرت هذه النفقات باعداد الاساطيل الجسيمة المدهشة التي ابتلعت الملايين القنطرة فكانت ضغثًا على إبالة

والولايات المتحدة الاميركية كانت قبل الحرب الاخيرة ناعمة البال ساكنة البلبال من هذا القبيل تطوي بسرعة البرق اجيال المدنيَّة ومراحل الحضارة. فحماها انتصارها بل طمعها الاشعبي على مجـاراة البرّ العتيق واقتناء آثاره. فقد انبأتنا الصحف السيَّارة ان الرئيس العامّ المستر ماكنلي امر بان يُبلغ عدد الجنود الموجودة تحت السـلاح سنويًّا الى مئة الف نفر بعد ان كان ثلاثين الفًا. وللأمل والطمع مخايلُ وبوارق

وقد صوَّر احد مشاهير اوربّة هذه الحالة قال: « انَّ المزاحمة الموجودة بين الاقوام المتأخرة وخصومتها لبعضها الخفيَّة والظاهرة أشبـهُ بمأساةٍ مدهشة. فان كلًّا من دول اوربّة المتمدّنة تنظر الى غيرها شزرًا كالوحوش الكاسرة حتى اذا سنحت لها الفرصة فتكت بها وافترستها. يسعى كلٌّ منها في حصر السطوة والسيطرة وجمع المال والثروة. لا ذكر للعدالة في مخابراتهـا ودروس رجالها. فكرها الوحيد توسيع ملكها وتزييد نفوذها. فتوصّلًا لبغيتها تدسّ تارةً الحيل السياسيَّة. وتشهر أخرى القوى الحربيَّة. تنادي علنًا بالسلم العموميَّة. وتحفر سرًّا الحُفر الجهنَّميَّة. يعقد اولياء امورها المعاهدات الوداديَّة بينما اصابعهم تخطّ اوامر المقاتلات الدمويَّة. . . » وختم السياسيّ الموما اليـه كلامهُ بقول احد شعراء اليونان: « عسى ان يكون الغد خيرًا من اليوم »

على انَّ الامر ليس وآسفاه كما تمنّى. والاكثر يجرون على كلام مونتسكيو في سياسة الدول وهو بئس القول: « اذا بقيت احدى الدول مدَّةً مديدة في حالة السلم وازدادت قوَّةً وسطوةً وتوسَّعت معنًى ومادَّةً بحيث تقـدر على تخريب دولة اخرى فيحقّ لهذه ابقاء لحياتها ومدافعةً عن نفسها ان تحول دون اتساع تلك وتدرأ منهـا امرًا يعود على خرابها »

فلعمري ان هذا المبدأ لوخيم يُشمُّ منهُ رائحة الحرص والحسد. ولكن اذا امعنا النظر في أحوال الدول نرى ان هذا الفكر هو روح السياسة الحاضرة ومحور حركتها. فما تخطر دولة خطوةً الّا تنكر عليها سائرُ الدول عملها وتنادي باختلال الموازنة الاوربيَّة وتقوم وتقعد حتى تشاطرها اللقمة فتبتلعها هنيئاً مريئاً. فيسكن روعها ويرتاح بالها

ويدّعي البعض ان هذه التسليحات المتمادية هي ضمينة السلم وكفيلة الراحة العمومية. لولاها لعلّت مراجل المطامع الدولية فتأجّجت نيران حروب مدهشة. وهاك ما قال عاهل الالمان الحالي في هذا الباب: «جيش قوي واسطول قوي اكبر ضمين للسلام»

وقال السلطان سليم خان الاول « حاضر اول جنكه آكر ايسترايسك صلح وصلاح » وهو في معنى المثل اللاتيني القديم (si vis pacem para bellum) « تهيأ للحرب ان اردتَ السلم والسلام ». وقال أحد الالمان: « لو لم تزدْ فرانسا الحربيَّة لكانت فرنسة جدَّدت الحرب علينا ». وقال أحد السياسيّين: « لو تهيّأت اسبانية للقتال واستعدّت للحرب لكان في قيام الاميركان عليها ريب وشبهة »

ولا يخفى عليك انَّ معدّات القتال تتغيَّر من وقت الى آخر. تضرب الدول صفحاً عن اسلحة اليوم وادواته وتدرّ الفضَّة والذهب لاعمال اسلحة الغد. فما يمضي يومٌ الّا وتأتينا اخبار اختراعات جديدة من غوّاصة في البحار وسابحة في الهواء تصبّ على المتحاربين نار الهلاك والدمار

فالحال والحالة هذه معاملَ الاسلحة في حركتها الدائمة أشبه بالاجرام المتحرّكة حسب نواميسها الطبيعيَّة. لا يأخذها كلل ولا يُقعدها ملل. فمهما كان غنى هذه الدول لا يمكنها ان تحتمل الى مدَّة طويلة القيام بهذه النفقات الباهظة وقد بلغ السيلُ الزُّبى وانتهى السكين الى العظم. وعليه خيف من ان تتجلي هذه الحالة يوماً اما عن إفلاس الدول الفقيرة واما عن انفجار بركان حرب هائلة يُسمع دويّها في أقطار المسكونة. وتحترق والعياذ بالله من نيرانها المعمورة. لكنَّ مملكة ابن السماء والقارة السوداء فتحتا للاوربيّين صاغرةً مناجم الثروة وباب الفرج فوردوا فرحين مناهلَ الصين ودخلوا ظافرين مجاهلَ افريقية وغُصَّتهم قد جازت وضيق مذاهب العيش في وجوههم قد توسّعت

ثالثها الحرب الاقتصادية وقد مرّ ذكرها وحالتها في رسالتنا التجاريَّة فلا حاجة الى التكرار هنا

(ستأتي البقية)